

تطور الأوجه الثقافية للعصر الحجري القديم الأعلى المتأخر على ضوء البقايا البشرية لموقع سيدي الحسني (كولناتبا سابقا)

دراجي عبد القادر : رئيس الفرقة (☆)
معهد الآثار

مقدمة :

تقع المحطة الأثرية بالقرب من قرية سيدي الحسني ، على بعد حوالي 25 كلم من مدينة تيارت . من الناحية الجغرافية ، تعتبر كامتداد للهضاب العليا للغرب الجزائري . (شكل رقم 1) . تعرف الباحث بـ كادنا⁽¹⁾ P. Cadenat على هذا الموقع في الثلاثينات وقام بعدة حفائر متتالية ، أي من عام 1937 إلى عام 1961 .

I الستراتغرافيا :

من خلال الطباقية ، يمكننا التعرف على عدة مستويات أثرية تمثل مختلف الأوجه الثقافية⁽¹⁾ .

سنحاول فيما يلي وصف هذه الطباقية من الأسفل نحو الأعلى (شكل رقم 2) .

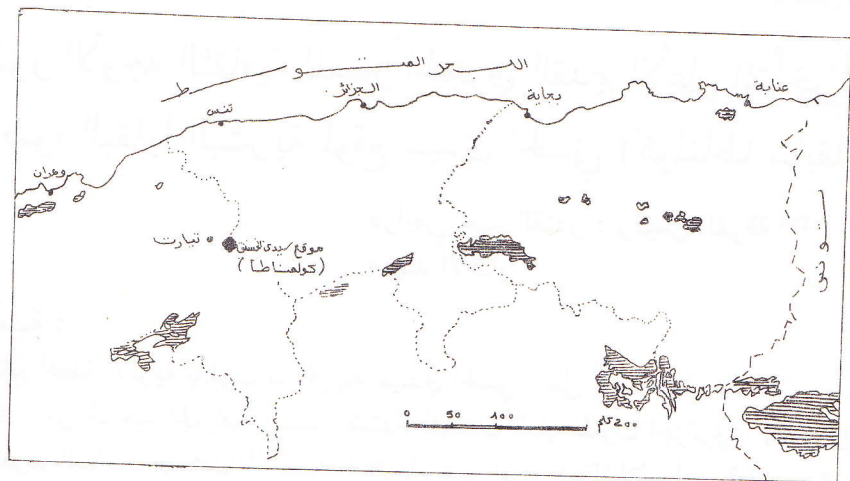
1 - ثقافة ايبيرية مغربية نموذجية ، تضم صناعة حجرية ذات نسبة مرتفعة من الأدوات القزمية ذات الظهر المجنجل .
2 - ثقافة العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر ، تعتبر كمرحلة انتقالية ومن المحتمل أن تكون تحمل في طياتها بعض التأثيرات القفصية ، في حين نسجل غياب أدوات قزمية على الشكل شبه منحرف . بينما نعثر بكثرة على الحثات الصغيرة الحجم والقزميات الدقيقة ذات الظهر المجنجل .

3 - ثقافة تنتهي للقفصي الأعلى ، تعتبر كوجه ثقافي محلي ، ما زال يضم بعض الأدوات التي تنتمي بدورها للمستوى السابق ، كالأدوات ذات الشكل شبه منحرف والموجودة بصفة مكثفة .

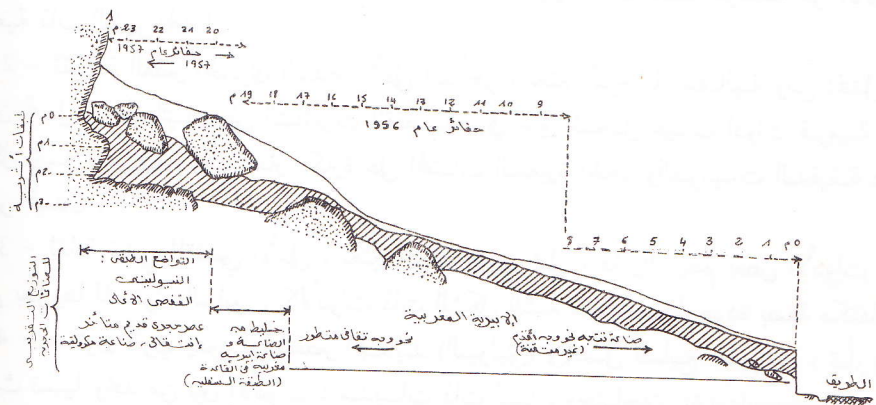
4 - مستوى أثري يعود إلى العصر الجديد (النيوليتي) ويحمل طابع صحراوي ، تأريخه

حديث نسبيا ونجد من بين الأدوات : مدببات ذات لسان وجناحين (pointes à pédoncule et à ailerons) .

(☆) رئيس الفرقة : الأستاذ دراجي عبد القادر .



شكل رقم 1 : خريطة تمثل موقع سيدي الحسني و(كولمناطا)



شكل رقم 2 : مقطع طبائقي طولي للخندق رقم 2 لموقع سيدي الحسني حسب الباحث ب ك ب . كادنا

من خلال معاينة هذا الموقع الطباقى للمستويات الأثرية ، يمكن تتبع مختلف المراحل التي مرت بها الصناعة الحجرية والعظمة للوجه ثقافى الايبيرى المغربى . فى حين أدخل الباحث ق . كامبس⁽²⁾ G. Camus بعض التعديلات على التقسيم السابق . واعتبر المستوى رقم 2 كثافة عالية تحت اسم (الوجه الثقافى الكولناطى) والمستوى رقم 3 (الوجه الثقافى التيارقى) . وعلى غرار ذلك يمكننا التعرف على بعض التواريخ المطلقة بواسطة الكربون 14 .

الوجه الثقافى الكولناطى من 530 الى 6.330 سنة ق . م .

الوجه الثقافى التيارقى من 4.390 الى 4.900 سنة ق . م .

الوجه الثقافى النيولىثى من 3.300 الى 3.900 سنة ق . م .

يتبين لنا من هذه التواريخ أن أقدم المستويات الموجودة بموقع كولناطا حديثة وذلك مقارنة مع أشهر المحطات الايبيرية المغربية ، سواء فى محطة أفلو (الساحل الشرقى الجزائرى) أو محطة تافور (المغرب الأقصى) ، ففي هذه المحطة الأخيرة أرخ أحدث مستوى ايبيرى مغربى حوالى 8850 سنة ق . م .

■ المستحثات الحيوانية :

رغم الحفائر المتعددة التى أجريت بموقع كولناطا ، لا يمكننا وضع مختلف البقايا العظمية فى إطارها الأصلى (الطباقى) بصفة دقيقة . فى حين تشكل هذه المستحثات نسبة عالية وتوزع كالتالى (أنظر جدول رقم 1) .

جدول رقم 1 : قائمة المستحاثات الحيوانية

اسم الحيوان باللغة اللاتينية	النسبة	الحيوان (النوع والجنس)
Rhinoceros SP.	+	الكركدان
Equus asinus	+	حصان أزينوس
Equus Mauritanious	+++	الحصان الموريطاني
Bos primigenius	++	الأرخص
Alcelaphus bubalis (commun)	++	البقرات : نوع السلافوس يومالين
Moufon	+	الأروية
Gazelles et antilopes diverses	++	غزال ، ضبي
Hyène Tachetée et rayée	+	الضبع المنقط والمخطط
Lion	+	السبع
Panthère	+	النمر
Sanglier	++	الخنزير
Chacal	++	الثعلب
Renard	++	ابن آوى
Chat ganté	+	القط القافز
Porc-épie	++	الشهم
Mangouste	++	النس
Divers petits rougeurs	++	قوارض أخرى متعددة
Herisson	++	القنفذ
Oiseaux Autruche	++	الطيور : النعامة
Outarde	++	الحبارى أو الحبراوانية
Aigle	++	الصقر
Falconidé	++	الصقريات
Petits passereaux	+++	الجواثم
Tortue terrestre	++	السلاحفات البرية
Mollusques (nombreuse espèces)	+++	الرخويات
Poisson (Barbus SP.?)	++	الأسماك (نوع باريوس)
Crabe d'eau douce (potamon edule)	++	سرطان الماء

(+) نادرة

(++) موجودة

(+++) موجودة بكثرة .

المستحثات البشرية :

تم العثور على معظم البقايا العظمية على سطح المستوى الأثري الايبيري المغربي وفي المستوى الأثري الكولناتي . في حين لم يعثر في المستوى الأعلى (النيوليتي) إلا على بقايا عظمية لشخصين .

يتكون هذا المدفن من عدة قبور فردية وهذا عكس ما نجده في كهف آفلو .

قام الباحث بـ كاندا P. Cadenat هذا المدفن الى مجموعتين:

1 - المجموعة الأولى : الأكثر قدما (المستوى الأثري رقم 1) تحتوي على هياكل عظمية غير كاملة ومهشمة في بعض الأحيان الى عدة قطع ، وغالبا ما تكون العظام مكدسة بصفة غير منتظمة ، وهذا نتيجة لاستعمال هذا القبر لأكثر من شخص ، وتعلم قبور هذه المجموعة بواسطة قطعة حجرية ، ربما استعملت كمنصب جنائزية .

ب - المجموعة الثانية : تعتبر أكثر حداثة (المستوى الأثري رقم 2) ، تحتوي على هياكل عظمية كاملة ، محفوظة بشكل جيد . في حين نسجل غياب أي علامة أو منصب جنائزي للتعريف بالقبر .

1 - الخصائص التشريحية والفزيولوجية لهذه الأشكال البشرية :

قبل التطرق لمتنوع الدراسات الأنثروبولوجية التي حظيت بها البقايا البشرية خلال الفترة الايبيرية المغربية والقفصية ، من خلال المستحثات البشرية التي تعود الى العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر ، تعرف الباحث بريس (3) Briggs على أربعة نماذج :

أ - النموذج الأولي : أشكال بحر متوسطة قديمة ذات جاحم كبيرة ، الوجه قصير وعريض فتحات العين عالية نسبيا الجسم قوي وجود تفقم أو بروز في الفك تقترب هذه الأشكال بظهورها من أشكال كومب كبال (فرنس) .

ب - النموذج الثاني : أشكال بشرية متوسطة - افريقية ، ذات تصفح رأسي الوجه طويل فتحات العين عالية ، الأنف ضيق يحمل بروز فكي ضعيف نوعا ومن المحتمل أن تكون هذه الأشكال ذات طابع زنجي وأصلها يكون من مناطق الشرق الأوسط .

ج - النموذج الثالث : أشكال بشرية ألبية - افريقية ذات تصفح رأسي فتحات العين منخفضة تحمل الجمجمة بروز فكي . يكون أصل هذه الأشكال من مناطق جنوب غرب آسيا .

د - النموذج الرابع : تدخل ضمن هذا النموذج أشكال مشتي - آفلو ، ذات التصفح الرأسي على العموم ، تمتاز بضخامة جسمها ، قبو الجمجمة يكون منخفض ، الوجه طويل ، فتحات العين تكون وسطية .

هذه الأشكال ناتجة عن الاختلاط الذي حصل بين النماذج الثلاثة السابقة .
لم يحض هذا التقسيم بصدا واسع ، حيث تعرض في عدة مناسبات الى انتقادات شديدة
خاصة من طرف الباحثة د . فرنيباخ ⁽⁴⁾ D. Ferembach
انطلاقا من الدراسة الانثروبولوجية التي قامت بها الباحثة م . ك . شملا ⁽⁵⁾ M-C Chamla .
يمكن حصر الأشكال البشرية للموقع الأثري لسيدي الحسني (كولنطا) ضمن مجموعتين .

2 - الأشكال البشرية التي تنتمي لمجموعة مشتي - آفلو :

- أ - عناصر بشرية ذات جماجم كبيرة ، تعود الى الفترات الأولى من الحضارة الايبيرية المغربية . نادرة أو قليلة حيث كانت في طريق الانقراض ، تمتاز أيضا بغياب التجانس بين عظام الوجه والمجمجمة ، الجسم قوي ، قبو المجمجمة منخفض وفتحات الأعين تكون عالية .
- ب - عناصر ذات تصفح رأسي وذات جمجمة متوسطة تحمل وجه منخفض الى متوسط قبو المجمجمة متوسط الى مرتفع ، عموما نسجل عدم التجانس بين عظام الوجه والمجمجمة ، الجسم قوي ، الأعين منخفضة ، القامة متوسطة الى مرتفعة (حوالي 1,71 م) .
(تدخل هذه العناصر ضمن النماذج الكلاسيكية لمشتي آفلو) .
- ج - عناصر ذات طابع مشتي نسبتها منخفضة في كل من موقع آفلو وتافورا ، بينما يكون معتبر في موقع سيدي الحسني في بعض المواقع القفصية الأخرى . تشبه أشكال مشتي - آفلو ، الجسم قوي نسبيا ، قياسات المجمجمة متوسطة النسبة ، القامة متوسطة (حوالي 1,65 م) قد تمثل هذه العناصر ، نماذج مشتي آفلو في طريق الانقراض .
- د - عناصر ذات جماجم عريضة (أصلع) (Brachycephale) لشمال افريقيا : تعتبر كمجموعة صغيرة ، طالما تحمل مظهر نحيف وتوجد محليا (آفلو وسيدي الحسني) .
عموما ، لا تختلف عن كل المجموعة التي تنتمي اليها ما عدا ، صفة ، النحافة وعرض المجمجمة .
ربما الصفة الأخيرة تكون ناتجة عن تطور في عين المكان .

3 - الأشكال البشرية لشمال افريقيا المسماة «فجر المتوسط»

- أ - عناصر ذات جماجم متوسطة وذات تصفح رأسي ، الوجه طويل ، قبو المجمجمة مرتفع . الجسم قوي عند الرجال ونحيف عند النساء ، القامة معتبرة (حوالي 1,71 م) .
- ب - عناصر ذات جماجم متوسطة وذات تصفح رأسي ، قبو المجمجمة منخفض ، الجسم قوي عند الرجال ونحيف عند النساء ، القامة عالية في بعض الأحيان النادرة تمثل بعض الأشكال نوع من البروز الفكي .

حوصلة عامة :

يشكل موقع سيدي الحسين نموذجا أساسيا لتفهم المراحل الانتقالية لمتلف الأوجه الثقافية التي تعود الى العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر فمن خلال المستويات الأثرية نستطيع تتبع مختلف المراحل التي مر بها الإنسان الحفري من خلال ميزاته التشريحية ومنتوجه الثقافي (الأدوات الحجرية والعظمية) .

تتضمن الأشكال البشرية التي عثر عليها بموقع سيدي الحسين تنتمي الى العائلة الكبرى الشتي - أفلو حيث تحمل بعض الميزات التطورية التي تفسر حداثتها الكرونولوجية بالمقارنة مع الأشكال الأيبيرية المغربية الكلاسيكية .

تظهر بعض الاختلافات ضمن هذه الأشكال عند مقارنتها بالمستحثات البشرية لكل من موقع أفلو وموقع تافورا . تكمن هذه الاختلافات في الدراسة المورفوقياسية للمجمعة وعظام الأطراف العلوية والسفلية . ربما نجد تفسير هذه الاختلافات في بعض الحالات المرضية التي تكون قد تعرضت إليها هذه الأشكال أو لأسباب إثنوغرافية .

فالأشكال البشرية لسيدي الحسين ، سواء كانت تنتمي للوجه الثقافي القفصي أو الأيبيري الغربي ، قد كانت تشكل نفس المجموعة السكانية (بين 6330 سنة و 4.990 سنة ق.م) . مما يضيء طابع التعايش أو الاختلاط السكاني ، وهذا الاحتمال مبني من الناحية الباليولوجية وهذا رغم الاختلافات الطفيفة في الصناعات الحجرية والعظمية .

فاذا كانت هذه الأشكال رغم انتمائها للمجموعة البشرية لمشتي أفلو ، حديثة كرونولوجيا فبعض الميزات التطورية التي تحملها قد تفسر الزحف البشري الذي يكون قد حدث لأسباب ما انطلاقا من المناطق الساحلية نحو الداخل . ففي هذا الصدد معظم المواقع الأيبيرية المغربية في الشريط الساحلي تؤرخ بين 10 الى 18.000 سنة ق.م .

مواش

- (1) Cadenat (P.) - Principaux résultats des fouilles effectuées en 1956-57 à Columnata. Congr. préhist. de France 16^e session, Mnaco, 1959, PP. 316-320
- (2) Camps (c) - Nouvelles dates données par le carbone 14 concernant la préhistoire récente d'Algérie (Capsien supérieur et Néolithique). Bull. son, Préhist, Franc. t. 63, N° 2. 1966, PP. 84-88
- (3) Briggs (c) - on three dabills form nechta el Arbi, Algeria. Amer. jour. of phys. anthrop. n.s.t. 8, n°3, 1950, PP. 305-314
- (4) Ferembach (D) - la bécropole épipaléolithique de Taforat (Narco Oriental) Etuds des squelettes humains, Casablanca, 1962, 175, P.
- (5) Chamla (MC) - les hommes épipaléolithiques de Columnata (Algerie occidentale). Etud anthropologique. mémoire du C.R.A.P.R n° IV, 1970, 133 P.

- BRIGGS (C.) - on thres sloulls form Machta el arabi, Algeria Amer. Journ. of Phy. anthrop. n°5 t.8,n°3, 1980 PP. 305-314.
- BRAHIMI (C.) deux campagnes de fouilles - Columnata (1969- 1971). libyca, t, 20, 1972, PP 49, 35 fig.
- CADENAT (P.) indication de quelques stations peéhistoriques de la région de Tiaret. Bull. de la doc. de geogr. et d'arvheol, d'Oran, t, LLX, 1938, P.95.
- id - la station préhistorique de columnata, commune mixte de Tiaret. Bull. Soc. Goeg. et archéol. d'Oran, t, 70, 1948, PP. 3-68.
- id - principaux résultats des fouilles effectuées en 1956-57 à cilumnata. Cong. préhist. de france, 16° session, Monaco 1959 (1965), PP. 316-320.
- CAMPS (G.) - nouvelles dates données par le carbone 14 concernant la préhistoir récente en algerie. (Capsien supérieur et Néolithique) Bull. Soc. préhist. france. t, 63, n°2 1966, PP 8488.
- CAMPS (G.) de librias (G.) et Thpmmeret (J.) - Chronologis absolut et succession des civilisation préhistorique dans le nord de l'afroque libyca, t, 16, 1986, PP. 9-28.
- ChAId-SAOUDI (Y.) Etude sustématique du genre Equus (Mammalia perisspdactyla) de l'Epipaléolithique de Columnata (algerie occidental). libyca t. XXXII - XXXIV, 1984, 1985 et 1986, PP 175-205, 6 fig.
- CHAMLA (M-C) - L'évolution du type de Mechta-Aflou en alferie occidentale. note exter. C.R. de l'académie des Sc, Paris, t, 267, sérís D, P. 1849-1851 (25 novembre 1968).
- id - les hommes épipaléolithiques de Columnata (algerie occidental) mémoire du C.R.A.P.E, t, XCn 1970, 133 P.
- id - le peuplement de l'afrique du nord de l'Epipaléolithque - l'époque actuelle. l'anthropologie (parís). t, 82, 1978, n° 3 PP. 385-430.